

أحاديث رمضان ١٤١٦ - نظرات في آيات الله . سورة الأحزاب - الدرس (٢٩ - ٥٠) : معرفة
سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فرض عين على كل مسلم.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٦-٠٢-٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

معرفة سيرة النبي فرض عين على كل مسلم :

أيها الأخوة الكرام؛ المبادئ الأخلاقية لا معنى لها، ولا قيمة لها، ولا تتبع إلا إذا تجسدت بإنسان
تراه بعينك، فذلك الله عز وجل يعلم حاجة الإنسان إلى القدوة، وإلى المثل، فالذي يرسخ المبادئ
المثل العليا، لهذا قال الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: ٢١]

بشر من بني البشر، كل خصائص البشر عنده، تجري عليه كل خصائص البشر، لكنه انتصر
على نفسه فكان سيد البشر، من هنا وجب بالدليل القطعي كما تعلمون ما لا يتم الواجب إلا به فهو
واجب، وما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وما لا تتم السنة إلا به فهو سنة، فالصلاة فرض لا تتم
إلا بالوضوء، فالوضوء فرض، لما قال الله عز وجل:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: ٢١]

كيف يكون أسوة حسنة إن لم نعلم كيف كان في بيته؟ كيف كان مع جيرانه؟ مع أخوانه؟ مع من
هم دونه؟ مع أقربائه؟ مع أصحابه؟ إذاً معرفة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فرض عين على كل
مسلم.

تأديب الأولاد على حب رسول الله :

الأمر الثاني لما النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم))

[الطبراني عن علي]

لعل أحدكم يقول: قل لابنك أحب رسول الله، كلام لا معنى له إطلاقاً، الحب لا يأتي بالتلقين يأتي
بالتعريف، فلو عرفت ابنك بأخلاق رسول الله، بسيرته، فحينما أمرك النبي عليه الصلاة والسلام أن
تربي ابنك على حب رسول الله ينبغي أن تعرفه برسول الله، جزء كبير من الدين أن تتعرف إلى سيرة

النبي عليه الصلاة والسلام، يجب أن تعرفها أولادك، فما كان لأولادك إلا أن يحبوا النبي إلا إذا عرفتهم بشمائله.

الأولاد هم شهادات المرأة الحقيقية :

المرأة تخرج من البيت لضرورة أما الأصل:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

لأن المرأة إذا قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة، ينبغي أن تعلموا أيها الأخوة الكرام؛ أن الصغار لهم عند الله شأن كبير، الدليل أن النبي عليه الصلاة والسلام فيما يروى عنه أنه يقول: " أول من يمسك بخلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعتني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها، وترك لها أولاداً، فأبى الزواج من أجلهم" المرأة حينما تضحى بحظها من الزواج من أجل أولاد أيتام فهي مع النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة، أي امرأة إذا قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة.

اليتيم الحقيقي ليس الذي لا أب له ولا أم، ولكن الذي لقي الإهمال من أمه وأبيه، لذلك شهادات المرأة الحقيقية ليست تلك الأوراق التي تعلق على الجدران، شهادتها أولادها، إذا ربّتهم تربية عالية وكانوا أعضاء صالحين في المجتمع، إذا ترك الأب ولداً صالحاً يدعو له هذه أكبر شهادة:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٣]

الأصل أن تقررن في بيوتكن.

من أدلى برأي مخالف لمنهج الله فهو ليس مؤمناً :

هناك نقطة دقيقة جداً الحقيقة أحياناً الإنسان يغلط، الله عز وجل يقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦]

هذا أشد أنواع النفي، مثلاً إذا قيل لمؤمن إن الله عز وجل يقول:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

[سورة النور: ٣٠]

إذا قال له: والله أنا رأيت، نقول له: قف إذا أدليت برأي مخالف لحكم الله فأنت لست مؤمناً، لمجرد أن تدلي برأي مخالف لحكم الله الذي ورد في هذه الآية الكريمة فأنت لست مؤمناً:

﴿ يَمَحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾

[سورة البقرة: ٢٧٦]

يقول: أنا رأيت أن المال لا بد أن يستثمر، أضمن شيء البنك، مثلاً لمجرد أن يطرح هذا الطرح لك أن تحكم عليه أنه ليس مؤمناً:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦]

إذا إنسان تارك صلاة، أو مرتكب كبيرة، والله لعنه، أنت لمجرد أن تقول: فلان أخلاقي، فلان له قلب طيب طاهر، معنى ذلك أنك تكذب الله عز وجل، الله يلعنه ويبعده وأنت تعظمه وتبجله، هذه آية دقيقة جداً، آية مفصلية:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

[سورة الأحزاب: ٣٦]

أنت مخير أن تسكن هذا البيت أو هذا البيت، أن تتزوج فلانة أو فلانة، ولكنك لست مخيراً بشيء بت الله به، هناك كلمة بآية لها معنى دقيق، لو فرضنا إنساناً شاباً أمامك قال لك: أنا طالب ثانوي، كيف تعرفه؟ اقرأ هذا الكتاب، إذا لم يعرف أن يقرأ كلمة واحدة معنى ذلك أنه أمي، أدنى إشارة، أدنى علامة، أدنى دليل على أنه طالب أنه يرتدي ثياب المدرسة، يا ترى الثياب دليل قطعي؟ لا، هناك دراسات، هناك فحوص، الذي يدل على أنه طالب علم أشياء كثيرة، يجب أن تتقدم بعشرة امتحانات، وأن تأخذ علامات ناجحة، فالمرأة تظهر بمظهر إسلامي هذا المظهر أدنى شيء فيها يشير إلى أنها مسلمة، وليس أكبر شيء، هناك نساء يتوهمن أن المرأة لمجرد أن تتحجب انتهى كل شيء، نقول لها: الحجاب لا بد منه لكن لم ينته شيء بعد، أن تعرف حقوق الزوج، أن تربي أولادها تربية إسلامية، أن ترعى حق زوجها، أن تحسن تبعل زوجها وأولادها، العبرة في عملها، ومعرفتها بالله عز وجل، ويقينها برحمة الله عز وجل، ويقينها برحمة الله، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

[سورة الأحزاب: ٥٩]

أما تعرف المؤمنة من معرفتها بالله، من استقامتها على منهج الله، من عنايتها بزوجها وأولادها، من أدائها للصلوات الخمس بخشوع، أما أن تظهر بزوي إسلامي فهذا أدنى إشارة تشير إلى أنها مسلمة وليس أعلى إشارة.

الأمر كله بيد الله عز وجل :

الحقيقة كلمة له:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة سبأ: ١]

لو رأينا أن أمور الأرض أحياناً- وقد سمح الله بذلك لحكمة بالغة- بيد جهة في الأرض ماذا سيكون؟ خمسمئة ألف طفل ماتوا في دولة محاصرة اقتصادياً جوعاً ومرضاً، لو كان الأمر بيد غير الله الأمر لا يحتمل:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

[سورة سبأ: ١]

الأمر عائد إليه، ولو عاد إلى غيره لكننا في مشكلة كبيرة، الأمر له، الآية كلها عن اللام والهاء. أنت أحياناً تسأل: هذه الدائرة الأمر بيد من؟ فلان، هل يخاف الله؟ إن قالوا: نعم، أنت ترتاح، لماذا ترتاح؟ لأن الأمر بيد من يخاف الله، الأمر بيد من يخشى الله، من يخاف أن يظلم أحداً، أما إذا سألت الأمر بيد من بهذه الدائرة؟ فلان لا يحل ولا يحرم، ما دام لا يخاف من الله يجب أن تخاف منه، هناك كلمات لها تأثير كبير.

تدقيق الإنسان العاقل في حساباته اليومية :

هذه آخر آية بسبأ:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

[سورة سبأ: ٥٤]

الإنسان ما دام حي له شهوات كثيرة، يمارسها كل يوم، لكن المصيبة الكبرى حين يحال بينه وبين ما يشتهي، إذا حيل بينه وبين ما يشتهي بقي الحساب، فلذلك الإنسان العاقل يدقق في حساباته اليومية، هذه الساعة التي يخرج بها من بيته، يترك الزوجة والأولاد والمحل التجاري والأموال والمركبة، الحياة فيها متع كثيرة، الدنيا خضرة نضرة، كله يتركه، ويقع في حفرة تحت الأرض، ليحاسب عن أعماله كلها، فإما أن يكون هذا القبر روضة من رياض الجنة، وإما أن يكون حفرة من حفر النار:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴾

[سورة سبأ: ٥٤]

رأس الحكمة مخافة الله :

أيها الأخوة، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

الحكمة توتى من قبل الله عز وجل مكافأة على تطبيق منهجه، لا تكتسب اكتساباً، العلم يكتسب قال تعالى:

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[سورة البقرة: ٢٦٩]

قال: الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع العبد المملوك حتى تجلسه في مجالس الملوك، بالحكمة يرتقي الإنسان:

((رأس الحكمة مخافة الله))

[رواه البيهقي عن عبد الله بن مسعود]

والرفق رأس الحكمة، الإنسان الهادف الذي يتصرف برحمة، بتبصر، بترو، لا يؤخذ سريعاً، لا يبطش، لا يكون عنيفاً، والرفق رأس الحكمة، ورأس الحكمة مخافة الله، والطمع يذهب الحكمة.

والحمد لله رب العالمين